تساوق نظريتي الوجود و المعرفة في الفكر الإسلامي و أثره في بناء نسق مناهج البحث في العلوم الإنسانية

The regulating between existence and knowledge in Islamic thought and its impact on the building thread Research methods in social sciences

د. شبيطة علي، جامعة محمد لمين دباغين– سطيف 2

achebita@gmail.com

أ–مينار محمد، جامعة باجي مختار– عنابة

Mohamed.menar@univ-annaba.dz

– ملخص :

يفرض النموذج المعرفي في أدبيات نظرية المعرفة الإسلامية مراعاة تلك الصلة الوثيقة بين الوجود والمعرفة؛ ذلك أن المعرفة في ظل النظرية الإسلامية مساوقة للوجود، بمعنى أن قيمة المعرفة في الإسلام مرتبطة بآثارها في الواقع الإجتماعي، و ما تحققه من الحاجة والنفع.

و تبعا لذلك، فإن أهم ما يُناط بمناهج البحث في العلوم الإنسانية، في إطار الدراسات الإسلامية، هو الدعوة إلى البحث في سنن الآفاق و الأنفس؛ على اعتبار أن عشرات الآيات من القرآن الكريم تحيل إلى ذلك بل إن من أهم مقتضيات البحث العلمي في الإسلام، البحث في هذه السنن ثم اتخاذها سبيلا إلى النهوض بالمجتمع و من ثمة تحقيق مقتضى العبودية المنوطة بالإنسان من جهة، و البحث أيضا في قضايا سنن الآفاق و الأنفس يُعد مدخلا عقديا لحفظ هوية المعرفة و صون مرجعيتها الحضارية.

في هذا الإطار تأتي هذه الدراسة العلمية المتواضعة، لتبين قيمة ذلك الإقتران الحاصل بين نظريي الوجود والمعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية، و تأثيرها في تشكيل منهج البحث في العلوم الإنسانية، باعتبار أن هذا النسق المعرفي نابع من الهداية القرآنية ابتداءً، و الدعوة إلى ربط المعرفة بالوجود، و فق ما عرفته التجربة التاريخية الإسلامية في عصورها الزاهية.

Summary

Cognitive model poses in the traditions of Islamic observance of relevant knowledge theory between existence and knowledge that knowledge in Islamic theory of authorship of existence, meaning that the value of knowledge in Islam linked to effects in the social reality, and the need for and benefit.

And accordingly, that the research methods in Islamic Science, Islamic studies, is invited to search the Sunan skylines and selves; as dozens of verses from the Quran refers to it, but one of the most important requirements of scientific research in Islam, the Sunnah-then take Avenue To the advancement of society and of an investigation under the respective hand human slavery, and also research the issues and prospects won which is a given in an entrance knowledge and identity keeping nodal maintenance embarks.

In this context the humble paper to make clear the value that the function between Visual presence and knowledge in Islamic knowledge, theory and composition influence research methodology in the humanities, as this cognitive pattern stems from the Quranic guidance from, and the invitation to link knowledge To exist, and it's what I knew the Islamic historical experience period.

- **إشكالية الدراسة:**

ليس هناك شك في وجود أزمة تتعلق بمناهج البحث في العلوم الإنسانية عند المسلمين، و تبعا لذلك فإن هذه المساهمة العلمية المتواضعة، تنطلق من افتراض معرفي، من أن السبب يكمن في مشكلة انفكاك نظرية الوجود عن نظرية المعرفة في الممارسة المنهجية الراهنة عند المسلمين اليوم، خصوصا حين نجد أن جملة المناهج التي يتوسلون بها في البحث في ميدان العلوم الإنسانية، ليست وليدة ثقافتهم الحضارية، تخالف رؤيتهم للعالم وبناء على ذلك يجد سؤالنا مسوغه: ماذا يمكن لنظرية المعرفة الإسلامية اليوم أن تقدم لمناهج البحث في العلوم الإنسانية؟، كيف يمكن استثمار ذلك التساوق

الحاصل بين نظريتي الوجود و المعرفة في إطار نظرية المعرفة الإسلامية التقليدية و سبل تفعيلها في تمثّل مناهج البحث في العلوم الإنسانية؟.

أولا– صدى المركزية الأوروبية في الفكر الإسلامي المعاصر

بعد الارتباك المعرفي الذي أصاب المسلمين بسبب التقدم الذي آلت إليه الحضارة الغربية، ظن البعض منهم أنه لا سبيل إلى اللحاق بهذا الركب سوى الانخراط في المركزية الغربية؛ على اعتبار أن المعرفة الغربية هي الضامن الوحيد لإحراز هذا التقدم، و عليه فإنه من الضروري الإقتداء بهذا النموذج المعرفي و تمثّله في صياغة مناهج البحث في إطار العلوم الإنسانية.

إلا أن ما غفل عنه المسلمون – و هم يتلقفون هذا النموذج الغربي– ما كان يستبطنه من رؤية للعالم تخالف عقيدتهم و تأسر رؤيتهم ضمن رؤية حداثية غربية، و عليه فقد" استمد مفهوم التمركز، مكوناته من الدلالة المباشرة لـــ Egocentricity التي تفرض غلبة وجهة نظر الذات و صوابها"(01)(إبراهيم،2010، ص12).

في هذا الإطار، يمكن اعتبار قصة بروميثيوس"(البعلبكي، معجم أعلام المورد، 1992م، ص103) تجسيدا لهذا الصراع حول المعرفة؛ إذ سرق شعلة المعرفة من الإله زيوس "Ζεύς" ، كبير الآلهة، ليعطيها للبشر، معتبرا أن المعرفة لا يمكن أن تبقى عند الآلهة فحسب، و إنما من حق البشر أن ينير عقله بنورها، ويضيء دياجير بصيرته بقبسها، و كان البشر يسكنون الكهف المظلم، ثم حين أضاء بروميثيوس بشعلته المقدسة الكهف، تفجرت المعرفة عند البشر، و تفتق إبداعهم، إلا أن موقف كبير الآلهة لم يكن في صالح بروميثوس فغضب غضبا شديدا، فأوكل للنسر بأكل كبده إلى الأبد نظير ما قدمه للبشر (أينهاردت، 1994م، ص95.). إن هذه النار المقدسة، التي قدمها بروميثيوس للبشر، جعلت حياتهم أكثر سعادة، فتعلموا الفنون واكتسبوا المعارف، و بالجملة حازوا الطريق إلى حياتهم الجديدة، التي لم يألفوا لها مثيلا من قبل(بدوي، 1996م، ص170.).

علاوة على ذلك فإن القراءة المعرفية التي تصاحب مفاصل هذه الأسطورة" تفترض الصراع بين كل الكائنات، و تفترض وجود الصراع بين الخالق و المخلوق [الذي ورثته المعرفة الغربية في صورة الصراع بين الدين و العلم] على عكس التصور الاسلامي الذي يرى أن الله عزوجل قد علم

آدم الأسماء كلها، والصراع [بين الخالق و المخلوق على هذا النحو] يفترض أن الخالق ليس منزها عن مخلوقاته، و إنما هو مساو لهم ،فكأن مركز العالم يوجد داخله"(صافي، 1998م، ص49.).

و على الجملة فإن مما توحي به هذه القصة في هذا المقام، أن فلسفة المنهج في الفكر الغربي تنطوي على حصر المعرفة في مصدر واحد ، و استبعاد بقية المصادر الأخرى و التقليل من شأنها؛ حيث عمل استلهام مصادر المعرفة من الغرب في البناء النظري لمناهج البحث في العلوم الإنسانية، الأمر الذي يجعل فلسفة هذه المناهج تغدو منهجية؛ أي" أن المناهج تستبطن فلسفتها، و أن الإجراءات المنهجية و الأدوات البسيطة تحمل في طياتها و ثناياها فلسفة المنهجية التي نبعت منها و بنيت عليها"(عارف، 1996م، ص10.).

ثانيا– مفهوم نظرية المعرفة

تنطوي نظرية المعرفة على أهمية بالغة، خصوصا فيما يتعلق بالبحث في إشكالية مناهج البحث في العلوم الإنسانية؛ فهي الناظم المعرفي الذي يرافق الباحث في تأملاته في الواقع، و هي التي يصوغ من خلالها شتى مواقفه من الوجود.

على أنه ينبغي التنويه بأن نظـــرية المعرفة في الرؤية الإسلامية مساوقة لنظرية الوجود، و لا يوجد بينهما أي فصل أو تمييز؛ حيث إن"مبحث المعرفة في المنظور الإسلامي جزءا من مبحث الوجود ، لا ينفك عنه و لا يفهم إلا في حدوده"(كلمة التحرير، 1996م، ص10.)، و هذا ما يميز الرؤية الإسلامية عن غيرها من الرؤى الأخرى؛ حيث"إن المبدأ الأساسي للمعرفة الإسلامية هي افتراض التناسق بين مصادر المعرفة، و هذا المبدأ ينسجم مع مبدأ التوحيد الكامل، و هناك علاقة تصورية و منطقية بين الوعي الوجودي بالوحدة والتناسق المعرفي و التوازن ، يعزى إلى حقيقة هي أنه على الرغم من وجود مصادر معرفية مختلفة ،فإن المعرفة كلها تأتي في نهاية الأمر من الله العليم مالك المعرفة المطلقة (...) و من ثم من غير المعقول منطقيا و نظريا أن نفصل سياق المعرفة عن سياق الوجود، بعكس حالة علمنة المعرفة في تاريخ الفكر الغربي"(أوغلو، 2000م، ص33.) .

و لكن ما المقصود بالنظرية ابتداءً ؟.

ترادف النظرية النسق في المعنى، "أي إنها تطلق على مجموع المسلمات و المبرهنات، و لا تقال على قضية واحدة من قضايا النسق"(وهبة،2007م، ص648.)، و على هذا الأساس فإن نظرية المعرفة هي: "البحث في المشكلات الفلسفية الناشئة عن العلاقة بين الذات المدركة و الموضوع المدرك، أو بين العارف و المعروف"(صليبا،1994م، ص478)، الأمر الذي يجعل منها تركيبا عقليا يراد منه بيان الجزئيات.

و على الجملة فإن معنى نظرية المعرفة على هذا الحال تعد "دراسة منهجية منظمة أو بحث في المعرفة من حيث أصلها و ماهيتها و إمكانها و طرق الوصول إليها و طبيعتها و حدودها وقيمتها (...) و البحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني و الواقع الخارجي"(الكردي، 1992م، ص64.)، كما يمكن اعتبارها كذلك "مجموعة المعتقدات و المعاني و التصورات و المفاهيم، و الأحكام الفكرية التي تتكون لدى الإنسان من خلال محاولاته المتكررة لفهم الأشياء و الظواهر المحيطة به"(علي شتا، د – ت، ص 25.).

بالنظر إلى ما سبق، فإن النظرية تكاد تكون هي المنهج نفسه، على اعتبار أن المنهج ينطلق من نظرية معينة، تفترض نموذجا معينا من التفكير.

ثالثا– مصادر المعرفة

يمكن اعتبـــار مصادر المعرفة هي الـــتي تميز أنساق النظـــريات الفلسفية بعضها عن بعض، باعتبار أن مصادر المعرفة و الخلاف حولها هو الذي يفرز الاختلافات القائمة بين هذه النظريات، و تبعا لذلك فإن هذه النظريات الفلسفية، تتسمى وفقا لمصدر المعرفة الذي تنزع إليه وتعده منطلقا لبحث موضوع المعرفة، و من ثمة إقامة مناهج البحث في شتى أصناف العلوم، و العلوم الإنسانية منها على وجه التحديد.

لهذا نجد بعض الفلاسفة يرون أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، و هؤلاء هم العقليون، و يرى آخرون أن الحس هو المصدر الوحيد للمعرفة، و هؤلاء هم الحسيون أو التجريبيون، و ذهب آخرون إلى أن المصدر الوحيد للمعرفة، ليس هو العقل و لا هي التجربة، و إنما عن طريق ملـــكة أخرى أكثر سموا من العقـــل و التجربة ألا و هـــي الحدس، و هؤلاء هم الحدسيون.

أ- العقليون: و هم الذين ينزعون إلى تفسير المعرفة بالاحتكام إلى العقل، لذا تراهم يستبعدون الحس، باعتبار العقل يملك رؤية سابقة عن وجود الأشياء، التي مبادئها الأولية المركوزة فيه بصفة قبلية، و لما كانت هذه المبادئ مجتمعة في العقل، أمكن إدراكها بصورة كلية في وضوح، و لما كانت الحواس لا تقدم لنا الواقع بصورة كاملة، فإن العقل يبقى هو المصدر الوحيد الذي يمكن الاتفاق حول قدرته على بلوغ المعرفة اليقينية.

فبزعم العقليين أن العقل أكثر ثراء من التجربة؛ ذلك أن "الحس لا يتعدى المحسوسات، بل يقتصر عمله على نقل صور عنها من دون أن يكشف عن شيء آخر سوى ما تعلق به، أما العقل فالأمر فيه على العكس تماما فإنه ينتقل من ادراكات إلى أخرى، بعمليات متعددة"(السبحاني، 1990م، ص141.).

والجدير بالذكر هنا أن العقليين، إنما انتصروا للعقل باعتبار أفضليته على الحس، و هذا بالنظر إلى صفتي الوضوح و التمييز اللتين يمدنا بهما، فهذا الاتجاه العقلي في مصادر المعرفة، أفضى إلى ما يسمى بأزمة العقلانية الغربية، التي بدورها صارت دعوة إلى ما يسمى بوحدة العلم بالمعنى الابستيمولوجي(أبو النور، د- ت، ص186.).

ب- الحسيون: المعرفة مصدرها الحس عند الحسيين، و بناء على ذلك، فليس بالضرورة تعد المبادئ الأولية المركوزة في العقل شرطا لقبول التجربة، "فالمعرفة تنشأ عن التجربة و تكتسب قيمتها و مضمونها بقدر اتصالها بالواقع التجريبي المحسوس فقط"(محمد قاسم، 1986م، ص264.)، إلا أن هذا لا يعني أن المذهب الحسي ينكر العقل تماما، طالما أن أي فيلسوف لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يستغني عن التأمل الفلسفي الذي يكون بالعقل أساسا.

أما عن موقف الحسيين من المبادئ القبلية التي يتضمنها العقل، فهي ليست بذات جدوى "حتى تجيء الإدراكات الحسية فتملؤها(...) باعتبارها أنها [الصور العقلية] مجرد صدى لإدراكاتنا الحسية"(هويدي، 1989م، ص144.)، الأمر الذي جعل الحسيين يعتبرون أن جزءً من البراهين العقلية التي يتكئ إليها المذهب العقلي، ما هي إلا يقينيات من طريق التجريب تألف حواسنا مشاهدة تكرارها، مما يجعل العقل بعد ذلك يحكم على صدقها بأحكام عقلية.

ج- الحدسيون: لقد اعتبر الحدسيون الحدس مصدرا للمعرفة، باعتباره الوسيلة الوحيدة التي بها يمكن ارتياد آفاق المعرفة الروحية، على خلاف العقل و الحس معا ، فكلاهما قاصران على النفاذ إلى حقيقة الحقيقة، و تبعا لذلك فإن مـــصدر المعرفـــة "ليس هو العقل الـــذي يستنبط ويستدل، وليست هي الحواس التي تدرك وتحس، و إنما هو الحدس الذي يقود إلى جوهر الحقيقة، و يكشف عن الواقع بغير وساطة من عقل أو حواس"(السكري، 1999م، ص67.)، خصوصا إذا تعلق الأمر بمجرى الحياة الباطنية و قضايا الأخلاق و القيم التي يغلب عليها طابع الإستمرارية، حينها لا يمكننا التعويل على العقل في إدراك حقيقتها؛ "لأن العقل لا يستطيع أن يقوم بعمله إلا إذا حلل الكلي إلى أجزائه و قسم مجرى الحياة المتصل إلى قطع و أجزاء منفصلة، لكن الحياة لا تدرك إلا ككل، و إدراكها على هذه الصورة من اختصاص الحدس وحده"(هويدي، 1989م ص151.).

رابعا- مصادر نظرية المعرفة و مميزاتها بين النسقين الغربي و الإسلامي

1- مصادر نظرية المعرفة في النسق الغربي و مميزاتها

أ- مصادرها

أما بالنسبة لمصادر نظرية المعرفة الغربية، فيمكن اعتبار بداية التأريخ لها بصدور كتاب جون لوك بعنوان:(مقالة في الفهم البشري)، الذي دشن به عهدا جديدا في تاريخ الوعي الأوروبي، ليطوي بذلك صفحات الصراع التاريخي الدامي بين الكنيسة ممثلة في رجال الإكليروس و العلماء، حول المصادر الصحيحة الكفيلة بالوصول إلى المعرفة، "فلم يكن هناك من مصدر أفضل من التركيز على الخبرة الإنسانية و استخدام الحواس، كأساس للمعرفة العلمية الحقة، فاعتماد الحواس يحرر الناس و يعطيهم قيمتهم و الحس يقلل إلى أقصى حد من قيمة المصدر الديني" (النعيم،2007م، ص51.).

و استمر هذا المد التحرري في سعيه إلى تحرير الحقيقة من بين أحضان السلطة الدينية، التي أنتجت فكرا دينيا سحبته على الدين، إلى صياغة فكر لا ديني، انسحب هو الآخر على مختلف قطاعات الحياة، باعتبار "أن هناك حقيقة أصبحت من المسلمات في تاريخ الفكر الغربي ،و هي أن الصراع بين العلم و الدين كان ضرورة تاريخية لا محيد عنها، فهما ضدان لا يجتمعان و عدوان لا يتصالحان و كل واحد منهما يسعى إلى تدمير الآخر" (أمزيان، 2008م، ص24.)، الأمر الذي

عمق الهوة بين الدين والعلم، فولد بذلك رغبة شديدة لقيام المنهج الوضعي الذي يعد بديلا جديدا لمصادر المعرفة و التي انحصرت في مصدرين اثنين هما:

- اعتبار الحس المسلك الضامن للمعرفة، و ما رفض جون لوك للأفكار الفطرية إلا رغبة منه في إقصاء أي لون من ألوان الاعتقاد الديني و سعيا منه لبناء النسق الوضعي في المعرفة، القائم على التجربة المؤيدة بالمشاهدة و القياس الكمي.

- علاوة على ذلك فقد اعتبر العقل كذلك مصدرا من مصادر المعرفة عند الغربيين، و ما ذلك سوى صورة أخرى من صور الصراع حول مصادر المعرفة التي تعسفت الكنيسة في امتلاكها، فساد الاعتقاد "بقدرة العقل على فهم الكون و استيعابه و إخضاعه لحاجة الإنسان أهم ميزة اختص بها هذا العصر [أي بداية القرن الثامن عشر و يطلق عليه كذلك عصر العقل] حيث بدأ المفكرون يتجهون إلى نقد النظم السياسية والأخلاقية و الدينية التي كانت سائدة، ويعملون على استبدالها وفق ما تفرضه المعايير العقلية وحدها"(أمزيان، 2008م، ص32.).

ب – مميزاتها

على أنه بحسب مصادر المعرفة التي ارتضاها الفكر الغربي، فقد أمكن تحديد أهم مميزاتها فيما يلي:

- تداول مصدري الحس و العقل على زمام المعرفة الغربية، الأمر الذي يظهر معه جليا استبعاد مطلق لمصادر المعرفة الأخرى أيا كان مصدرها، و ما تابع ذلك من التمركز حول الحس و المشاهدة تارة والاستعانة بالعقل تارة أخرى.
- استبدال الإنسان بالله، و ذلك نظرا لقصور نظرية المعرفة الغربية عن الوصول إلى الإجابة عن الأسئلة النهائية المتعلقة بالإنسان و الوجود و المعرفة، لانغماسها في أطر المادة و اغترارها بمقولات العقل.
- اعتبار نظرية الوجود مطابقة لنظرية المعرفة، و هذا كان من أهم المزالق الإبستمولوجية التي وقعت فيها نظرية المعرفة الغربية، باعتبار أن نظرية الوجود قد فهمت في إطار نظرية المعرفة؛ "فالأسس المعرفية لنموذج الحداثيين هي إعادة تركيب و بناء المعرفة عقليا وتجريبيا، و

يفترض في ذلك أن الإنسان ليس سوى كائن عاقل يعمل وفق مبادئ عقلية مسبقة عند التعامل مع أية معلومات معطاة أو معتقدات مكتسبة عن طريق الملاحظة"(أوغلو، 2000م، ص25-26.).

و على هذا النحو سارت نظرية الأنطولوجيا الغربية صوب خدمة نظرية المعرفة، محددة بذلك طبيعتها ومجالها لتحصرها في نطاق القراءة الأحادية، التي أفرزت سلبيات عميقة في الذات البشرية، منها:

- تكريس الإنفصام المنهجي بين المقررات التربوية و العلوم الكونية، عن طريق توهم الفارق الموضوعي بينهما.

إبعاد العلوم الإنسانية و الاجتماعية عن الهداية الدينية، و إحلال الحق بالمنطق(الخطيب، 2003م، ص27-28.).

2- مصادر نظرية المعرفة في النسق الإسلامي و مميزاتها

أ – مصادرها

تستمد نظرية المعرفة الإسلامية مصادرها من القرآن الكريم أساسا، و تنحصر على وجه التحديد في ثلاثة مصادر هي: الفطرة، الكون و الوحي.

أ.1- **الفطرة**: الفطرة في اللغة هي"الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، و الطبيعة السليمة التي لم تشب بعيب"(المعجم الوسيط، 2004م، ص694.)، و أما معناها في اصطلاح الفلاسفة، هي كل "ما ينتمي إلى طبيعة كائن ما دون أن يكون ناتجا عنده عما أحسه أو أدركه أو فعله منذ نشأته، و هي بهذا المعنى تقابل المكتسب"(سعيد، د- س، ص328.). لهذا فالفطرة هي جملة المعارف الفطرية التي غرسها الله تعالى في ذوات البشر من بني آدم، ليحصل لهم بذلك الاستعداد إلى التفرقة بين الحق و الباطل، إلا أنها في الحقيقة ليست بذلك بأي حال من الأحوال تشبه الضرورات العقلية الـــتي زعم بها المذهب العقلي في الغرب (علي حسن، 1991م، ص95.)، و تبعا لذلك فالفطـــرة تمثل أول مـــصادر المعرفة بالنسبة إلى الإنسان، و مستدل ذلك قوله تعالى: { ❼✖◆❐

فصلت، الآية: 53.).

و لما كانت الفطرة تمثل "استعدادا أنشئي في النوع البشري يهيئه للقيام بوظيفته الحياتية التي تتحقق في دوافع المعاش و الأمن و التناسل و تعمير الأرض، و بوظيفته الوجودية التي يتطلع فيها إلى أسرار خلقه و مقاصد وجوده و تلبية خالقه"(عروة، 1987م، ص39.) ، فالإنسان على هذا الحال ينبغي عليه استثمار هذا المصدر المهم من المصادر التي تمثل بالنسبة إليه عونا إلهيا أسداه إليه حينما هيئه أول مرة بالعلم، و الدال على ذلك قوله تعالى: { 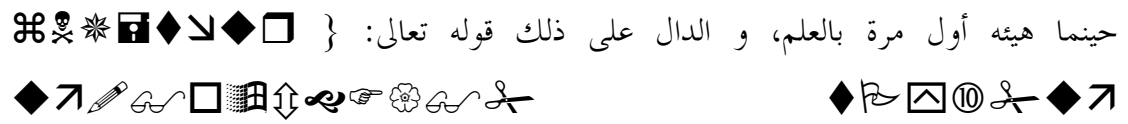

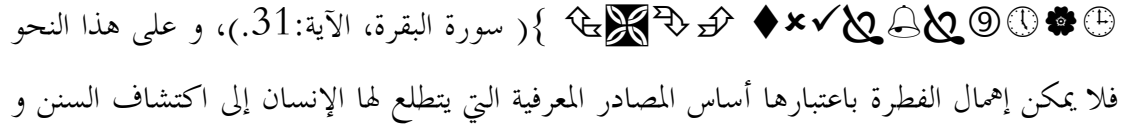

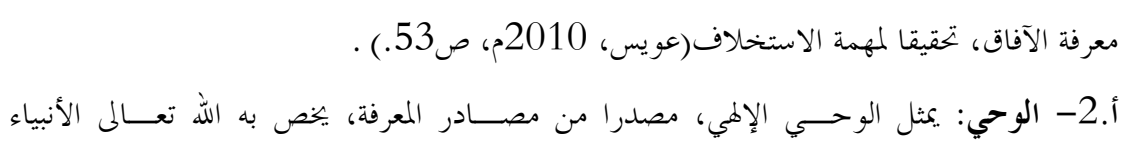

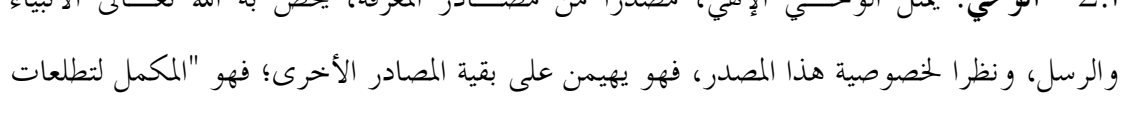

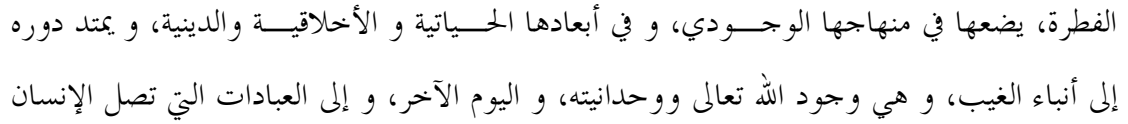

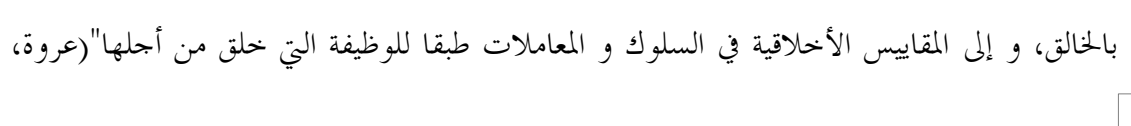

فلا يمكن إهمال الفطرة باعتبارها أساس المصادر المعرفية التي يتطلع لها الإنسان إلى اكتشاف السنن و معرفة الآفاق، تحقيقا لمهمة الاستخلاف(عويس، 2010م، ص53.) .

أ.2- **الوحي**: يمثل الوحـــي الإلهي، مصدرا من مصـــادر المعرفة، يخص به الله تعـــالى الأنبياء والرسل، ونظرا لخصوصية هذا المصدر، فهو يهيمن على بقية المصادر الأخرى؛ فهو "المكمل لتطلعات الفطرة، يضعها في منهاجها الوجـــودي، و في أبعادها الحـــياتية و الأخلاقيـــة والدينية، و يمتد دوره إلى أنباء الغيب، و هي وجود الله تعالى ووحدانيته، و اليوم الآخر، و إلى العبادات التي تصل الإنسان بالخالق، و إلى المقاييس الأخلاقية في السلوك و المعاملات طبقا للوظيفة التي خلق من أجلها"(عروة،

1987م، ص40.)، فهـــو بذلك يأخذ بتلابيب الفطرة لارتياد آفاق الحياة والكـــون، متسلسلا في مراتب الوجود تحقيقا لمبدأ التوحيد الذي يسري في أوصال الحياة ويتعداها.

و على الجملة فإن الوحي لما كان مصدرا للمعرفة في المنظومة المعرفية الإسلامية فهو:

– يقدم لنا حقيقة الحياة و الآخرة، و يسعفنا في إدراك اليقين، و ما يستتبع ذلك من وضع الإجابات القطعية عن الأسئلة النهائية المتعلقة بالوجود و المعرفة، الأمر الذي يؤدي بها إلى التكامل ضمن نسق توحيدي، الذي يسعف الإنسان في بحثه عن الحقيقة التي بدت باهتة من منظور المصادر المعرفية الأخرى التي أقصت الوحي.

– يعرف الإنسان بحقيقة ذاته، و بما أنيط به من مهام وجودية، تتحقق بفعل الاستخلاف.

– يهديه إلى إدراك الحقيقة الشاملة التي تحدد مقاصد وجوده، و صيرورته الحضارية عن طريق إخباره بأصله و تكريمه و بعده القيمي.

أ.3– الكـــون: لقد عج القرآن الكـــريم بآيات كـــثيرة تدعو إلى التأمـــل و التدبر في آفاق هذا الكون لاستثمار سننه و فك مغاليقه بما يعود على الإنسان بالخير و النفع ، و إذ يقوم الإنسان بهذا المسعى مسترشدا بهذا المصدر المهم، فإنه بذلك سيحوز تلك النظرة الكونية المعرفية التي تضمنها القرآن الكريم، و حث على استخلاصها عن طـــريق النظر في سنن الآفاق و الأنفـــس، نظرة معرفية، تسعف الإنسان في الوصول إلى معرفة خالقه، و هي أعظم نعمة.

لقـــد انطلق القرآن الكريم من الفطرة لتحقيق هذه الغاية في قوله تعالى: {

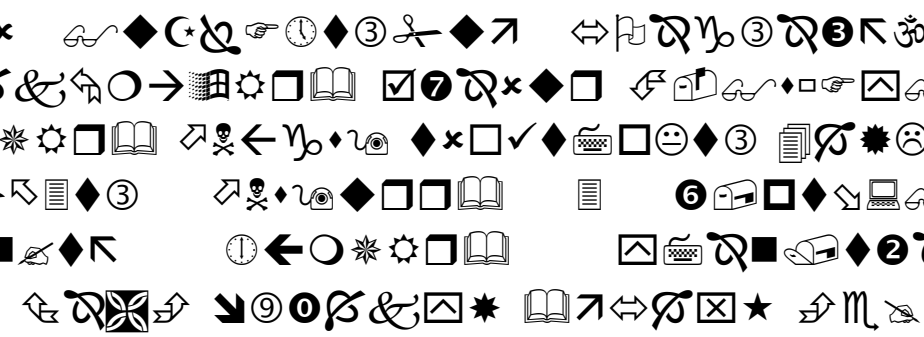

}(سورة فصلت، الآية: 53.)؛ لأن الفطرة تتوق إلى المعرفة، لمعرفة مجاهل الكون و معمياته، و لن يتحقق لها ذلك إلا بنور الوحي، الذي يضيء دجى دروبها و مسالكها.

إنه يمكن اعتبار الكون مصدرا مـــهما من المصادر المعـــرفية التي لا غـــنى للإنسان عـــنها، و ذلك "من خلال التدبر و التـــفهم لتجـــليات القدرة الإلهية البارزة في نشاط الظواهر، و حركاتها و وجودها وتفاعلاتها و السنن و القوانين التي تحكمها، و كلها صنع الله الذي أتقن كل شيء، [و من ثمة] الانطلاق نحو حفظ الأمانة، و القيام بمهمة الخلافة، و استعمال قوانين التسخير لتحقيق حالة "الشهود الحضاري" و"إخراج الأمة الوسط" و "بناء الأمة الخيره"(العلواني، 2009م، ص38.).

و لما كان الكون أيضا مصدرا للمعرفة، فهو يتيح للإنسان، أن ينظر بعقله في آثار الفعل الإلهي، ثم استثمار ذلك النظر العقلي معرفيا، قال تعالى:{ ﴿ ﴾ }(سورة العنكبوت، الآية: 20.).

و عليه، فإنه مع وجود تناغم بين الكون و الإنسان في إطار نظرية المعرفة الإسلامية، فإن ذلك معناه أنه لا سبيل إلى الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بالعلوم الإنسانية، بمنهج صيغ في إطار العداوة بين الكون و الإنسان في إطار التقاليد المعرفية الغربية، بمعنى أنه لا يمكن أن يكون منهج واحد لوقائع مختلفة.

ب- مميزاتها

بالنظر إلى مصادر المعرفة الإسلامية، نخلص إلى أنها تتميز بالمميزات الآتية:

- نسبية العلم الإنساني، لأنه ليس من جنس العلم الرباني، و تبعا لذلك تشكل محورية الله جوهر المنظومة المعرفية الإسلامية.
- تصبو جميع مصادر نظرية المعرفة الإسلامية إلى بلوغ الحقيقة الواحدة، و بذلك فليس بين هذه المصادر أي تناقض في الرؤى، لأن الناظم التوحيدي يسري في سائر جوانبها.
- تكامل نظرية المعرفة و نظرية الوجود إلى حد التماهي، و ذلك لأن منطلقهما يصدر من ناظم واحد و هو التوحيد، و يسعى لتحقيق هذا التكامل القرآن الكريم بوصفه مهيمنا عليهما.

و على الجملة فإن هذه المميزات التي تنفرد بها مصادر المعرفة الإسلامية تجعل منها الأنموذج الأجدر بالاتباع، و المنهج البديل في سبيل إصلاح آلام الحضارة الإنسانية، و ذلك لامتلاكها لهذه

الرؤية الشاملة، "أو ما يدعى "رؤية العالم" "World view"؛ لأنها هي التي تحدد فهم الإنسان فردا و أمـــة و جنسا لذواتهـــم و لمعـــنى وجودهـــم، و للغايـــة من هذا الوجود، وعلاقاته بالذات و بالآخر، و بالعالم و بالكون في كل أبعاد هذا الوجود، و مآل هذا الوجود، فإن هذه الرؤية هي الجذور و التربة و المنبع الذي يمثل القوة الدافعة العقدية التي تحدد طبيعة القوة الوجدانية المحركة للإنسان و للمجتمع"(أبو سليمان، 2009م، ص20.).

– خاتمة:

تأسيسا على ما سبق يمكن أن نشير إلى النتائج التالية:

- تختلف نظرية المعرفة الإسلامية عن نظرية المعرفة الغربية اختلافا جوهريا، في التواشج الحاصل بين نظرية الوجود و نظرية المعرفة.
- تتأسس مناهج البحث في العلوم الإنسانية عند المسلمين على أساس الصلة الوثيقة بين مصادر المعرفة و تكاملها.
- المعرفة الغربية تحصر مصادر المعرفة في طريق واحد، دون مراعاة المصادر الأخرى.
- مناهج البحث الغربية التي توسل بها المسلمون في البحث في ميدان العلوم الإنسانية، تقف خلف صياغتها دلالات فلسفية و عقائدية تخالف هوية المعرفة الإسلامية.
- القرآن الكريم ينطوي على نظرية المعرفة الإسلامية قادرة على بناء مناهج البحث في العلوم الإنسانية.
- مناهج البحث في العلوم الطبيعية ليست قادرة على الإحاطة بالظاهرة الإنسانية.
- يمكن تبني مناهج بديلة للبحث في ميدان العلوم الإنسانية، بالرجوع إلى عملية التأصيل لنموذج معرفي قرآني.
- تقوم رؤية العالم في نظرية المعرفة الإسلامية على افتراض التآلف بين مصادر المعرفة و أدواتها، فليس طريق الحس وحده يغني، و ليس الاطمئنان إلى العقل وحده كاف لصياغة نسق مناهج البحث في العلوم الإنسانية ، إنما يكون اجتماع المصدرين معا قادرا على تجاوز أزمة النسق المعرفي الحاصل في مناهج البحث في ميدان العلوم الإنسانية لدى المسلمين اليوم.

– قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

01- أينهاردت،أ. (1994م). **الآلهة و الأبطال في اليونان القديمة**. ترجمة: هاشم حمادي، ط1، الأهالي للنشر و التوزيع، سوريا.

02- أبو النور،أحمد أنور. (د-ت). **ضد المنهج، إطلالة على أزمة العقلانية الغربية المعاصرة**. في (ندوة قضايا العلوم الإنسانية، إشكالية المنهج)، سلسلة الفلسفة و العلم، إشرف و تقديم: يوسف زيدان، د- ط، وزارة الثقافة، القاهرة.

03- أبو سليمان، عبد الحميد. (2009م). **الرؤية الكونية الحضارية القرءانية، المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني**.ط1،دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

04- أمزيان، محمد محمد. (2008م). **منهج البحث الإجتماعي بين الوضعية و المعيارية**. ط4، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

05- أوغلو، أحمد داود. (2000م). **تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية و الغربية**. مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 06، العدد 22، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

06- بدوي، عبد الرحمن، (1996م). **تراجيديات أسخلولوس**. ترجمها عن اليونانية و علق عليها الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، يروت، لبنان.

07- خليل، صبري محمد، و آخرون. (2006م). **الأبعاد المعرفية للإستخلاف**. ط1، مركز التنوير المعرفي، القاهرة.

08- الخطيب، عبد الله. (2003م). **الجمع بين قراءتي الوحي و الكون للخروج بالعلوم الإنسانية و الاجتماعية من مأزق المنهجية الغربية**. المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العدد 01، المجلد 04، المملكة العربية السعودية.

09- هويدي، يحي. (1989م). **مقدمة في الفلسفة العامة**. ط9، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة.

10- وهبة، مراد. (2007م). **المعجم الفلسفي**، ط5، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة.

11- كلمة التحرير، (1996م). **المعرفة في" إسلامية المعرفة "**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 06، العدد 23، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

12- البعلبكي، منير. (1992م). **معجم أعلام المورد**، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

13- العلواني، طه جابر. (2009م). **نحو منهجية معرفية قرآنية، محاولات في بيان قواعد المنهج التوحيدي للمعرفة**. ط1، دار الفكر، سوريا.

14- السبحاني، جعفر. (1990م). **نظرية المعرفة، المدخل إلى العلم و الفلسفة و الإلهيات**. جمع و ترتيب: حسن محمد مكي العاملي، ط1، الدار الإسلامية، لبنان.

15- السكري، عادل.(1999م) . **نظرية المعرفة، من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة**. ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

16- الكردي، راجح عبد الحميد. (1992م). **نظرية المعرفة بين القرآن و الفلسفة**. ط1، مكتبة المؤيد، الرياض.

17- **المعجم الوسيط**. (2004م). إصدار مجمع اللغة العربية، إشرف و تقديم: د. شوقي ضيف، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.

18- النعيم، عبد الله محمد الأمين. و عبد العزيز شريف، جمال الدين. (2007م) .**مصادر المعرفة الإسلامية**، ط2، سلسلة الكتب المنهجية 03، معهد إسلام المعرفة، جامعة الجزيرة، السودان.

19- محمد قاسم، محمد. (1986م).**كارل بوبر، نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي**، د- ط، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

20- سعيد، جلال الدين . (د-ت). **معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية**. د- ط، دار الجنوب للنشر، تونس.

21- عروة ، أحمد.(1987م). **العلم و الدين، مناهج و مفاهيم**. ط1، دار الفكر، سوريا.

22- علي شتا، السيد. (د - س). **المنهج العلمي و العلوم الاجتماعية**. د- ط، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة.

23- عويس، عبد الحليم. (2010م). **أزمة الذات المسلمة و ضياع الإحساس بالسنن الكونية**. مجلة حراء، السنة 05، العدد 19، تركيا.

24- علي حسن، عثمان. (1991م). **مصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد**، ط1، دار الوطن للنشر، الرياض.

25- عارف، نصر محمد. (1996م). **قضايا المنهجية في العلوم الإنسانية و الإجتماعية**. (أعمال الندوة العلمية حول قضايا المنهجية)، سلسلة المنهجية الإسلامية 12، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة.

26- صافي، لؤي. (1998م). **الوحي و العقل، بحث في إشكالية تعارض العقل و النقل**، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة 03، العدد11، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

27- وقيدي، محمد. (1983م). **ما هي الابستمولوجيا**. د- ط، دار الحداثة، بيروت، لبنان.

28- صليبا، جميل. (1994م). **المعجم الفلسفي**. د- ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

29- إبراهيم، عبد الله. (2010م). **المركزية الغربية**. ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.